

أيها الأحباب.. الإمام البنا داعية ترك بصمة على التاريخ



الأحد 19 سبتمبر 2010 05:03 م
كتب: بقلم: الشيخ محمد عبد الله الخطيب

ليست هذه الكلمات رداً على أحد فلا يوجد ما يستحق الرد، لكنها تذكير بتاريخ الدعوة إلى الله في القرن الرابع عشر الهجري والذكرى تنفع المؤمنين، وليس بين الله وأحد من خلقه نسب، لكنه العمل والعمل الصالح وحده..

أين نحن من هذه الدعوة؟

في حياتنا مع أولادنا.. وبيوتنا.. وجيراننا.. وكل من تعرف في العمل وفي الحياة، والرجل الصالح لا بد أن يترك أثراً صالحاً مع كل من تعامل معه، والله عز وجل يأمر نبيه المختار صلى الله عليه وسلم بقوله عز وجل: ﴿قَاسِمًا كَمَا أَمَرْتُمْ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣)﴾ (هود).

لا بد من وقفة صادقة مع النفس، نعرف منها أين نحن من رسالة الإسلام، ومن الدستور القرآني الخالد، ومن نبي الإسلام، الرحمة المهداة والسراج المنير صلى الله عليه وسلم؟ أين ورد المحاسبة؟ "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم" ﴿كَفَىٰ يَتْفِسِكُ التَّوَمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ (الإسراء).

ولسنا في هذا بأفضل من سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه، فقد كان يحاسب نفسه كل يوم، ماذا فعل في هذا اليوم من خير؟ وماذا قدّم من أعمال طيبة؟ فإن كان الجواب نعم حمد الله ونام، وإن كان غير ذلك استغفر وندم، وربما ضرب نفسه!

أين نحن من قيام الليل؟ فقد اعتدنا عليه بفضل الله طوال شهر رمضان.. أفلا ندوم على هذا الخير؟ ونذكر من كانوا قبلنا، فقد وصفهم الحق تبارك وتعالى بقوله ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَفْهِنُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ (الذاريات)، ووصفهم سبحانه بقوله ﴿وَالَّذِينَ يَبِينُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ (الفرقان).

دخلت أم عمر بن عبد العزيز عليه يوماً فوجدته يبكي، فقالت له: ما يبكيك يا عمر؟ هل بك من شيء؟ فقال لها: لا.. غير أنني تذكّرت الآخرة فبكيت، وكان رضي الله عنه يسجد على التراب تواضعاً لله عز وجل، هل نُرزق نحن مثل هذا الإيمان الذي يحرك المشاعر ويوقظ القلوب، ويحيي النفوس؟ هذا يحتاج إلى إيمان عميق، وفهم دقيق، ومداومة على العبادة والتلاوة والخشوع، وقد حدّد الحق تبارك وتعالى أن المؤمنين بحق هم من وصفهم بقوله عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزُنْوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ □ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ (الحجرات).

وقوله عز وجل ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ فُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣)
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾
(الأنفال).

أين نحن من ذلك كله حتى نستطيع أن نحمل دعوة، وأن نبليغ رسالةً بالوسائل التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم؟، فرض في رقابنا ودينُ في ذمتنا نُسأل عنه يوم القيامة، وهو دِينٌ في رقاب المسلمين جميعًا، أنزل الله لنا كتابًا وبعث لنا رسولاً.. ماذا فعلنا بكتابه؟ وهل افتدينا بنبيه؟ وهل آمننا بهذا الحق وصدّقنا به؟ وسمّونا بأنفسنا فوق الصغائر، وأكثرنا من عمل الحسنات واجتناب السيئات؟.

وهل وضعنا الدنيا- بما عليها- في دائرتها ونظرنا بحق إلى دار الخلود فتعلّقت بها الأبصار والبصائر والقلوب؟ وهل استطعنا أن نجسّد كل ما أعطانا الله من رزق، وما أسبغ علينا من نعم في طلب الآخرة؟، قال تعالى ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا أَنَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْنِ تَصِيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ (القصص).

لهم اجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، أولئك هم أولو الألباب.

نبذة تاريخية:

لا بد لنا قبل الدخول إلى الموضوع من معرفة بالأوضاع التي ظهر فيها الإمام البنا؛ كيف بدأ من الصفر؟.. إن التاريخ يقول لنا إن أعداء الإسلام في الشرق وهم التتار وأوروبا في الغرب لم يتمكن هؤلاء- بالرغم من الأوهال التي ارتكبوها في حق المسلمين، والمجازر التي تقشعر لهولها الأبدان، طوفان من هنا وهناك يدق بلاد المسلمين سواء في دار الخلافة من المغول، وحول بيت المقدس من الصليبيين- من ابتلاع بلاد المسلمين، وكل محاولاتهم وإجرامهم في حق الإنسانية باءت بالفشل، وزُذوا على أعقابهم خائبين، وبقيت راية الإسلام مرفوعةً والقرآن يُحتكم إليه، والمسلمون لا يرون له بديلاً.

وكتب الله لهذه الأمة الخلود والنصر في جميع معاركها؛ لأن الله عز وجل أراد ذلك، لكن العدو الماكر الخبيث عبّر خطته، وبدأت قوافل التبشير تعمل للتشكيك في هذه الرسالة، والتهمين من أمر عقيدة التوحيد، ثم كان التآمر على دولة الخلافة من الصهيونية التي نسيت أن اليهود طوال حياتهم يعيشون في بلاد المسلمين آمنين، حقوقهم محفوظة، فالإسلام لا يعرف التفرقة، لكنه يعدل بين المواطنين جميعًا ما داموا يحافظون على كيان الأمة التي يعيشون فيها.

وفي هذا الجو الذي سقطت فيه الخلافة، ووصل الخط البياني إلى الصفر، بدأت حركات الإصلاح، ودعوات العودة إلى المنبع الصافي، ظهرت حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلاد الحجاز، والسنوسية في ليبيا، والمهدية في السودان، وكلها حركات إسلامية صحيحة تنادي بالإسلام كدين ودولة وجهاد في سبيل الله؛ لاستخلاص الأمة من أيدي هؤلاء الشياطين الذين تسلطوا عليها.

ثم تبلور العمل الصحيح للإسلام كدين وحصارة، وفانون ونظام وجهاد؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل، جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها" رواه أبو داود، فكان الإمام البنا بحق هو المجدد وهو الداعية وهو المربي وهو الإمام، يقول رحمه الله: لقد آمنّا إيمانًا لا جدال فيه، ولا شك معه، واعتقدنا عقيدةً أثبت من الرواسي، وأعمق من خفايا الضمائر، بأن ليس هناك إلا فكرة واحدة هي التي تنقذ الدنيا المعذبة، وترشد الإنسانية الحائرة، وتُهدي إلى سواء السبيل، وهي التي تستحق أن يُضحى في سبيل إعلانها والتبشير بها، وحمل الناس عليها سواء بالأرواح والأموال، وكل رخيص وغال، هذه الفكرة هي (الإسلام الحنيف) الذي لا عوج فيه ولا ضلال لمن اتبعه ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران) ﴿التَّوْحِيدَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: من الآية3).

ففكرتنا لهذا إسلامية بحتة؛ على الإسلام ترتكز، ومنه تستمد، وله تجاهد، وفي سبيل إعلاء كلمته تعمل، لا تعدل بالإسلام نظامًا، ولا ترضى سواء إمامًا، ولا تطيع لغيره أحكامًا.

يقول الرئيس محمد نجيب رحمه الله عن الإمام البنا، وقد وقف على قبره في الإمام الشافعي "من الناس من يعيش لنفسه لا يفكر إلا فيها ولا يعمل إلا لها، فإذا مات لم يشعر به أحد ﴿فَمَا تَكْتُبُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)﴾ (الدخان)، ومن الناس من يعيش لأمنه واهبًا لها حياته، وحاصرًا في نصرتها وعزتها كل أماله، مضحيًا في سبيلها بكل ما يملك، وهؤلاء إذا مانوا

خلت منهم العيون، وامتلأت بذكراهم القلوب، وإمامنا من هؤلاء؛ إنه معلم الجيل، وإمام العصر، ومجدد الدعوة في العصر الحديث، وإليه ترجع النهضة الإسلامية على مستوى العالم في القرن الرابع عشر الهجري، لقد انتشرت الدعوة على أيدي تلاميذه في كل أنحاء الدنيا، وكلها حلقات متصلة تنظمها سلسلة واحدة هي الإسلام".

لقد كان الإمام الشهيد صاحب عقيدة أخذت بزمام نفسه، وملكت عليه منافذ حسنه، فعاش من أجلها أشق عيشة وأقساها، ومات في سبيلها أشرف ميتة وأسماءها، وكان يؤمن بأن الدين الإسلامي هو الكفيل بإيجاد الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والحكومة المسلمة.

إن المبدأ الذي دعا إليه هو الإيمان اليقظ في نفوس المسلمين لا الإيمان المخدّر النائم، وهو الإسلام بمعناه الشامل الذي ينظم شؤون الحياة جميعًا، ويفتي في كل شأن منها، ويضع لها نظامًا محكمًا دقيقًا لا يقف مكتوفًا أمام المشكلات الحيوية، والنظم التي لا بد منها لإصلاح الناس، مستمدين ذلك من كتاب الله؛ فهو أساس الإسلام ودعامته وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن الإمام البنا- رحمه الله- يوجّه في هذا الصدد كلمة صريحة قوية، توقظ النائم، وتحرك القلوب، فيقول "إن أبيتُم إلا التذبذب والاضطراب، والتردد بين الدعوات الحائرة، والمناهج الفاشلة، فإن كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلة ولا بكثرة ﴿وَمَا التَّضَرُّ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: من الآية 126).

أما أسلوبه في العمل:

فقد سُئل رضي الله عنه: لماذا لم تؤلف كتبًا تضمنها هذه الأفكار السامية، والآراء السديدة التي تدعو إليها؟ فأجاب على الفور: ما أريد أن أؤلف كتبًا، بل أريد أن أؤلف رجالًا.

لقد أيقن- رحمه الله- بأن قيام الأمة الإسلامية لا يكون بالخطب والكلمات والكتب فحسب، بل لا بد من طبع النفوس على الفكرة الإسلامية، وتربية جيل على أخلاق الإيمان والبدل والغذاء.

ولذلك وضع النظام التربوي الذي يربط المؤمنين بهذا الحق برباط أقوى من المادة، وأبقى من كل الأواصر، ويقوم على المعاشبة عن قرب لتصحيح الخطأ، وعلاج النفوس والقلوب من الموجه لمن يربيه ويعلمه.

إن الإمام البنا وهو يضع هذه الأسس الدقيقة للتربية، فقد اختار أولاً التأسيس: أي إعادة بناء الأمة من جديد ومن الأساس، وقد واجه الأمور بعد سقوط الخلافة، وتعطيل المنهج وتفريق الأمة، وهو شيء أكبر من الوعظ والإرشاد والتربية الإسلامية التي تصنع الفرد وترده إلى الله عز وجل، لقد أصبح التجديد هنا هو إعادة البناء والتأسيس.

ثانيًا: الشمول: لقد استطاع أعداء الإسلام أن يجزئوا المنهج، فحاولوا إبطال الجهاد في سبيل الله، وأبعدوا السياسة عن الإسلام، كما جزّءوا الشخصية الإسلامية، فقالوا هذا رجل دين لا يعرف في السياسة ولا علاقة له بها، وهذا رجل سياسة لا دخل له في الدين، وهذا دبلوماسي لا دخل له في الأمرين، المهم أن الإمام البنا- رضي الله عنه- أعاد ترتيب المنهج، وأعاد ترتيب الشخصية الإسلامية بما يتواءم ومنهاج الإسلام الشامل.

بالإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا، ولقد نبّه القرآن الكريم إلى الإيمان الكامل بنظام الإسلام فقال: ﴿أَقْنُومُونَ بِنِغْمِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِتِغْمِ مَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْذَلُونَ إِلَىٰ أَسْفَلِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: من الآية 85).

وبهذا الفهم تتجدد صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان وللمتعلم وغير المتعلم، للبدوي والحضري، وساكن المدينة وساكن القرى، وهكذا يجب أن يكون هدى ورحمة لكل من خلق المولى تبارك وتعالى من بني آدم.

ثالثًا: السلفية: وهي العودة إلى الله عز وجل بهذا الحق، وإلى حياة الدين طبقوه وأفلحوا في تطبيقه بنوازن في الحديث الصحيح "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عصوا عليها بالنواجز".

والمراد الحقيقي للسلفية عند المؤمنين استمداد الإسلام من أصوله دون تعصُّب، يقول الإمام البنا: "ونستطيع أن نقول ولا حرج عليك أن الإخوان المسلمين دعوة سلفية؛ لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم".

كان الإمام على دراية بالحال الذي وصل إليها المسلمون والظروف التي يعيشونها، وبالمحاولات التي لا تكف عن إبعادهم عن دينهم ومصدر قوتهم.

ويضيف الإمام قوله: "إن رواسب القرون الماضية، ونتائج الحوادث الحالية لا يمكن أن تزول بأمنية تختلج في الصدور، أو كلمة تكتب في الصحف، أو خطاب تُلقى على الجماهير، بل لا بد من طول الأناة ودوام المثابرة، وعظيم المصابرة، والدأب على العمل".

وهذا الفهم هو امتداد للحديث الصحيح "ليس الإيمان بالتمني ولا بالتخلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، وإن قومًا غرَّتهم الأمانى، وخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم قالوا: نحسن الظن بالله، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل" (مسند الفردوس).

خطر الفرقة:

كما رأى الإمام الإخوان على وحدة القلوب وتعانق الأرواح، وكان يقول: إن أكبر أمراض المسلمين الفرقة والخلاف، وأن أنجح دواء لهم (الوحدة الإسلامية)، واختار للجماعة أحب الأسماء إليه، وكان يقول: (إني أمقت الخلاف في جميع صورته وألوانه، فلا خير فيه أبدًا) فالأخوة أخت الإيمان، والتفرُّق أخو الكفر، وكان يقول: "لئن نجتمع على قليل من الخطأ خير من أن نفترق على كثير من الصواب"، وكان يقول: "إن الناس إذا رأوا رجلاً واحدًا انحرف عن الصف لا يقولون رجلاً انحرف بل يقولون (صفاً أعوج)".

وهذا تطبيق لقوله تعالى؛ حيث يأمر المؤمنين، فيعلن في حزم وقوة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِيَعْمِيهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ (آل عمران)، وينهاها في حزم وصراحة عن التفرُّق، وينبئنا إلى النهاية المحزنة للذين يتفرقون شيئًا وأحزابًا وطوائف، فيقول جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ (آل عمران).

أين الذين يتفرقون ويصرون على التفرق؟ ويركبون رءوسهم، ويجرون وراء أهوائهم، هل قرءوا هذا الوحي العظيم؟ وهل تدبروه، وهل عقلوه وعادوا إلى ربهم؟.

أبها الأحاب.. هذه دعوتكم، ودعوة كل مسلم على ظهر الأرض، جاء بها سيد البشر، وحملها من بعده الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إن من ملامح هذه الدعوة الأساسية كما تعلمنا من الإمام هي: البناء النافع بغير حدود، النافع للأفراد، والمفيد للأمة كلها، والذي يحفظ عليها كيانها وتقدمها وحضارتها.

ففي الإسلام طريق الدنيا هو طريق الآخرة بلا اختلاف ولا افتراق، فليس هناك طريق للآخرة اسمه العبادة وطريق للدنيا اسمه العمل، وليس هناك رجال دين ورجال دنيا، وإنما هو طريق واحد أوله في الدنيا وآخره في الآخرة.

إن العمل الجاد النافع النابع من عقيدة سليمة وإيمان عميق هو استمرار العمل والجهاد والسعي والتعلم والتعليم مستمرًا إلى آخر لحظة من لحظات العمر.

شُهد أحد الصحابة وقد تقدّم به العمر مع المجاهدين في ميدان الجهاد، فقالوا له: ماذا تصنع وأنت قد أدّيت ما عليك؟ فقال: أكثر عدد المسلمين أمام الأعداء، وأدواي الجرحى.

إن توكيد قيمة العمل والحرص عليه، فكرة واضحة شديدة الوضوح في مفهوم الإسلام، روي في المنتخب بإسناد حسن عن أنس يقول صلى الله عليه وسلم **إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرستها، فليغرستها فله بذلك أجر**."

مقتضى هذا الحديث: كل مسلم ومسلمة يجب عليهما ألا يفرطا في أي لحظة من حياتهما في العمل المستمر الجاد، وقد شُهد أحد الصحابة يغرّس شجرة، فقالوا له: قد تقدّم بك العمر، وهذه الشجرة ثمارها تتأخر، فنظر إليهم وقال: غرس من قبلنا فأكلنا، ونحن نغرس إلى من بعدنا.

أرأيت إلى هذه النظرة نقول: إن ديننا هو دين النفع العام، والعطاء الدائم المستمر، والأفق المضيء الذي ينظر حتى إلى الأجيال التي لم تأت بعد.

والدعاة إلى الله في كل جيل هم أحوج الناس إلى هذا الدرس الغالي العظيم، هم أحوج الناس أن يأخذوا من نبيهم صلى الله عليه وسلم هذا التوجيه، فيعملون لدينهم ولديناهم ولآخرتهم ويُعلمون غيرهم، ويكونون قدوة صالحة، وهنا يُطرد اليأس من النفوس، ويزداد الدين أمنوا إيمانا بالرجاء والأمل الواسع.

والدعاة هم أحق الناس بالتدبر العميق في سيرة نبيهم صلى الله عليه وسلم، لقد كان يغرّس ويربّي في دار الأرقم، ويُتابع عند العقبة ويطوف في مواسم الحج يعرض نفسه على القبائل، فيكون الرد رداً منكراً فيه استهزاء، وفيه غلظة جاهلية، فما يزيد ذلك إلا إصراراً على ما يقول، كان يفعل كل ذلك وهو لا يدري، فقد تأتمر به قريش، وقد يموت هو وأصحابه في شعب أبي طالب، ومع ذلك فهو صلى الله عليه وسلم يؤدّي واجبه على أكمل وجه، ويترك الباقي لله عزّ وجلّ.

إن صاحب الدعوة يجب عليه شرعاً أن يبلغها إلى الناس بالكلمة الطيبة وبالموعظة الحسنة، ولا يسأل نفسه: كيف يُستجاب لها ومن حولها الأعاصير والدعابات الباطلة والتنشويه المتعمد والنشر من كل جانب؟ لا يسأل نفسه، بل لا يفكر فيه، فليس ذلك من شأنه إنما هو من شأن صاحب الأمر، فليدع ذلك لله صاحب الدعوة، بيده الأرواح وفي قبضته السماوات والأرض، والمهم أن يكون على بصيرة مما يدعو إليه، وعلى فقه بما يقول، وصدق الله العظيم **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُخَّانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** (يوسف).

فعلنا الله بما نسمع وبما نقول وغفر لنا ذنوبنا، وتقبل منّا أعمالنا، إنه سميع مجيب.. اللهم آمين.

* من علماء الأزهر الشريف